بعثة الى أمريكا

٩ — جرذان الصحراء

كان صديق الحميم غائباً عن الكويت فى تجارة له ببلاد الهند ، ولما علمت بقرب مقدمه ذهبت فى اليوم المحدد لوصوله إلى الميناء لاستقباله. وكان معى كالمعتاد زميلى الأمريكى لأنها فرصة يرى فيها أهم شىء فى بلد بحرى تجارى ، وأعجب زميلى بنظام الميناء وترتيب البضائع ، كل صنف فى مخزن خاص به ، ولكنه لفت نظرى إلى أن مياه حوض الميناء خضراء اللون، خضرة غير عادية . فأحرجت ولم أدر كيف أعلل سر هذا الاخضرار، ولكنى تذكرت أن هناك مطهراً أخضر اللون يلقى فى مياه حمامات السباحة لتطهيرها ، فعزوت السبب إلى تلك المادة ، وحسبت أنى بذلك قد تخلصت من الحرج ، ولكنه عاد فقال : ومن يضع هذه المادة ، البلدية أم الصحة ؟ . . فقلت : لاأظن هذه أو تلك ولكنى أحسبها من إدارة الميناء ، أو من السفن القادمة ، فكل سفينة تصل الميناء تلقى به قليلا مما بها من . . . من مطهر طبعاً !..

وأوصلنا تجوالنا فى الميناء إلى الرصيف الممتد داخل البحر كأنه اللسان (الأسكلة) فوقفنا مع الواقفين ، وهنا أقبلت إحدى السفن البخارية الصغيرة « لنش » حتى حاذت الرصيف ، فتفرست فى وجوه من فيها ، فوجدت قليلا من الكويتيين وكثيراً من الأجانب ، فقلت على زميلى وقلت له : إنه ليس بينهم . قال : ومن هو ؟ قلت : صديق المنتظر وصوله الآن ، فقال : وهل كنت تنتظر حضوره معهم ؟ وكيف يتسنى له عبور المحيط الهندى بين الكويت والهند بمثل هذا اللنش الصغير ؟ . فأدركت الخطأ الذى وقع فيه صاحبى وقلت له : إن الحضور من الهند يكون بالبواخر الكبيرة ، وأما اللنش الصغير فمهمته نقل المسافرين من الباخرة إلى الرصيف . فقال : ولماذا لاتوصلهم الباخرة نفسها إلى الرصيف ؟ فقلت : إن عمق الماء لايساعد على ذلك . فقال : إذن مافائدة الرصيف ؟ قلت . ألا تعلم أن لكل ميناء فى العالم رصيفاً ؟ فقال : نعم، صحيح، العلم نور !

ونزل ركاب اللنش واستقبل كل كويتى أهله وعارفيه وكان لغط وضجيج فهمت خلاله أنهم قادمون من إيران وليس من الباخرة كما توهمت، فأخبرت صاحبى بأن اللنش قادم من المحمرة فقال : وهل المحمرة هذه إحدى جزر الكويت؟ قلت: لا، فقال : وهل للكويت ميناء آخر غير هذا الميناء ؟ قلت : لا ، قال : فأين رجال الجمارك إذن ؟ فسألته بدورى : وماذا تريد منهم ؟ إنهم يعملون فى مكاتبهم . فقال : وهل لهم عمل غير تفتيش المسافرين ؟ قلت : لا . قال : وماذا ينتظرون لتفتيش هؤلاء القادمين إذن ؟ . قلت : لاتعجل، إن المسافرين أنفسهم سيذهبون إلى الجمرك للتفتيش عما معهم. فقال : ومتى كان المسافر يقدم مامعه ، اللهم إلا إذا كان أغبى الأغبياء ، ألا ترى أنهم يستطيعون أن يعطوا مامعهم لمستقبليهم ؟ . وهنا غضبت لسوء ظنه بالكويتيين. وأفهمته كيف أن ذلك لايحدث منهم . ولكنه عاد فقال : ولكن لاتنس أن معهم أجانب كثيرين ، وهنا ابتسمت ابتسامة مرة ، وشر البلية مايضحك . وقلت له : اطمئن ياصديق ، إن هؤلاء لن يستطيعوا أن يهربوا شيئاً لأنهم ليس لديهم من يستقبلهم من جهة ، وليس لديهم ما يهربونه من جهة أخرى . وإذا به يصيح : فأين رجال الشرطة والجوازات؟ فاحترت فى أمره وتساءلت : ماذا تريد بهم أيضاً ؟ . فقال : ألا يصح أن يكون بين هؤلاء الغرباء ممن يتسللون إلى بلادكم من لايحمل جواز سفر ، وقد يكون طريد القانون فى بلاده ، لفظته لأنها لم تعد تتسع لأمثاله ، فجاء إليكم ليشارككم أقواتكم ؟ قلت : وما حيلة رجال الشرطة بهم ، إنهم لو منعوهم من النزول هنا وأعادوهم من حيث أتوا لعادوا ونزلوا فى أى حوض (نقعة) يصادفهم من أحواض الكويت ، فقال : أليس لهذه الأحواض أبواب تقفل كأبواب الميناء ؟ . فقلت : للأسف لا ، وإن وجدت فلا فائدة منها ، لأنهم سينزلون على السواحل الأخرى تحت جنح الظلام ثم يتسربون إلى المدينة فى الصباح . وهكذا تجدنا أمام مشكلة عويصة . فأطرق صاحبى هنيهة ثم رفع رأسه وهو مشرق الوجه وكأنه وجد الحل السعيد ، وإذا به . . السور . . السور . . أليس للكويت سوراً

يحميها من كل مكروه ؟ قلت : نعم ، إن السور موجود ، ولكنهم يدخلون فى زى أى قروى كويتى قادم من إحدى القرى الكويتية ، فأسقط فى يد صاحبى ، فصمت برهة ، وكأنه صعب عليه أن يفشل فى حل الموقف ، فقال فى حدة : ولكننا ياصاحبى قد وجدنا الجمرك البرى داخل السور حين قدمنا الكويت . فلم أفهم قصده ، وسألته مادخل هذا بذاك ؟ . فقال : أليست الجمارك ومخافر الجوازات تكون دائماً على حدود البلاد لمنع دخول كل من تحدثه نفسه بأن يعيث بالبلاد فساداً ؟ . قلت : أفهم ذلك جيداً ، وكل ماعملناه نحن أننا جعلناها على حدود المدينة وليس حدود الإمارة ، فقال . بالله عليك قل لى أين تبدأ حدود الإمارة فإنى لم ألاحظ ذلك حينما قدمت ، فأطرقت ولعنت الساعة التى حضر فيها هؤلاء الاجانب لجرتنا إلى هذا الحديث . فقلت له : إنى والله لاأعلم بالضبط أين تكون . فعجب من أمرى وكيف يكون شاب مثلى لايعرف حدود بلاده . وسألنى : ألم أدرس الجغرافيا ؟ فأجبته : بأنى درستها وإنى مستعد أن أحدثه عن أنهار أمريكا أو جبال أوروبا أو جزر استراليا ... فقال : حقا إنها جغرافيا ولكن ماأفدت منها ؟ ماأعجب أمركم تدرسون بلاد غيركم ولا تعلمون عن بلادكم شيئاً ؟ قلت : لا تلمنى إنى أدرس ماقدر لى ، ولكن ...

وضاعت بقية الجملة فى ضجيج من طرف الرصيف على أثر وصول أحد اللنشات ، فأسرعت إليه وإذا بصديق الغائب قد حضر فأقبلت عليه مسلماً معانقاً ، وسرنا جميعا إلى الجمرك ، وهناك لاحظنا أن مع صديق القادم كثيراً من السجاير الأفرنجية قد أحضرها معه ، فهمس زميلى الأمريكى فى أذنى قائلا : مابال صاحبنا لم يخف هذه العلب عند مستقبليه ، لاشك أنها ستكلفه غالياً الآن ، فرددت عليه مطمئنا بأنها لن تكلفه سوى شىء بسيط ، قال : ألم تقل إن لديكم مصنعاً للسجاير ، قلت : بلى وما علاقة الضريبة بالمصنع . قال : ألا تحمون صناعتكم الوطنية ، فأجبته : أولا إن المصنع لم يفتح للآن ، وثانياً ليس من مصلحتنا تشجيع انتشار الدخان برخص ثمنه ، وثالثاً إننا أناس نؤمن بالديمقراطية فالمساواة عندنا فى كل شىء ، حتى فى الضريبة فهى لاتختلف فى القمح عنها فى الآلات والسيارات وغيرها ، وهنا لم يكتم صاحبى دهشته وعجبه ، بل واستياءه من مساواتنا للأشياء مساواة الموازين التى لاتفرق بين ثقل التراب من ثقل الذهب، وقال : كيف يتساوى الغذاء الرئيسى مع السجاير ، فتساوون الإثنين فى الضريبة؟ ومتى كانت البافتة وهى كسوة عامة الناس تماثل الحرير الذى لايلبسه إلا كل مترف ومترفة ؟ كيف تساوون بين السكن والقمح وهما من الضروريات مع الشيكولاتة والبسكويت الذى لاتضمه إلا موائد الأغنياء ؟ . فقلت : وماذا عسانا أن نفعل ؟ قال : هو أن تعفو هذه الضروريات من الضريبة فيعم الرخاء بلدكم وينعم فقيركم كما ينعم غنيكم. قلت : ولم لاتفول نضاعف ضريبة الكماليات فنكون قد أخذنا من مال أغنيائنا لنصلح من أحوال بلادنا ؟. فقال: ولكن لديكم من الذهب الأسود ما يغنيكم عن مثل هذه المضاعفة . قلت : وهل أبقت لنا شركاتكم شيئا .. إننا ..

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمى
والماء فوق ظهورها محمول

المبعوث الثانى

◎ الحق غريب فى كل مكان ، لذا كان قليل المعارف .

◎ من فتح له باب خير فليتهزه ، فإنه لايدرى متى يغلق عنه .

◎ النجاح يجىء لكل إنسان ، ولكنه غير طفيلى فلا يأتى إلا بدعوة .

◎ من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير

◎ الشقى من لايثق بأحد ولا أحد يثق به .

◎ كل خسارة تعوض إلا الوقت

◎ الأمانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر .

◎ من لايعرض نفسه للربح أو الخسارة فهو جبان أو صعلوك .

◎ من سمع كلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ضررها عنه

◎ لو كان الشيطان ذهباً لتهافت الناس عليه وتعاملوا به